## الفصل الخامس

# إنصاف الصابئة المندائيين
# من قِبَل الكُتَّاب والمؤرخين المندائيين

obeikan.com

obeikan.com

**- الشاعر المندائي عبد الرازق عبد الواحد:**

كان للشاعر بيتٌ قُرب مندي الصابئة المندائيين في بغداد القادسية وما زال ، فهو يرى عن قرب كل نشاطات أبناء الطائفة ويتردد الرجل أحياناً على المندي ويحضر بعض مجالس الفواتح التي تقام في قاعة المندي ، كذلك شاهدته كثيرًا يحضر الاجتماعات العامة ، ولكنه لم يعمل في مؤسسات الطائفة التي يديرها المندي وإنما عمل في نادي التعارف.

وقد تطوع الرجل بصياغة الترجمة الحرفية للكتاب المقدس ( الكنزا ربا ) ولم يكن هو الذي ترجمه إنما صاغه الصياغة الأدبية أو اللغوية بلغة عربية سليمة.

وفى إحدى مقابلاته الصحفية قال:
الصابئة جماعة دينية قديمة قدم العراق ، فآثارها وجدت منذ العصر السومري ، وديانتهم كما ثبت بعد ترجمة كتابهم المقدس أولى الديانات الموحدة في تاريخ البشرية ، عمر دينهم إذن يمتد إلى قرابة ست آلاف عام.

وللصابئة أكثر من نبي واحد فإنهم يؤمنون بأن نبيهم الأول هو آدم "ع" وأن آخر أنبيائهم يحيى بن زكريا "ع" ، والمعروف عن تاريخهم أن فئة كبيرة منهم رحلت مع إبراهيم الخليل "ع" في أور إلى حران وفلسطين ثم إلى مصر وهم يعتبرونه واحدًا منهم.

وفى مصر أسسوا مملكة اسم ملكها "أردوان" هذا ما جاء في أخبارهم. وقد حدثت بينهم وبين اليهود في فلسطين معارك طاحنة ، تمكن اليهود فيها من ذبح عدد كبير من الصابئة المندائيين وخاصة من علمائهم الدينين ، وقد روى تاريخهم أن ثلاثمائة وستين رجل قتلوا في ليلة واحدة على أيدى اليهود في أورشليم.

عاد خلقٌ كبير من الصابئة من مهجرهم في مصر إلى فلسطين مارِّين بمدينة حران وتوجهوا إلى جنوب العراق من جديد ، واستوطنوا في المحافظات

الجنوبية وخاصة ميسان وذي قار ، وبقي دينهم سرًّا مغلقًا لا يبوحون به ولا يكشفونه للناس ، أولاً خوفًا من ملاحقتهم خاصة من قبل اليهود ، وثانيًا لأن دينهم لم يكن دينًا تبشيريًا ، ولأن لغتهم غير لغة الناس ، وهي إحدى البنات الأربع للآرامية ، وهن العربية والمندائية والسريانية والعبرية. ولأن علامة الاستفهام ظلت مرسومة عليهم لجهل الناس بدينهم ، حتى اعتقد البعض بأنهم ليسوا أصحاب كتاب وليسوا موحدين.

هذه الدوافع كلها ، شجعتهم على المباشرة بترجمة كتابهم المقدس إلى العربية ، ويقع الكتاب في أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، ويبدأ بقسم التوحيد الذي يتضمن عددًا كبيرًا من أسماء الله الحسنى كما وردت في القرآن الكريم ، وكتاب الصابئة المندائيين يقع في قسمين: اليسار واليمين ، اسمه بالمندائية (الكنزا ربا) وتعني الكنز العظيم ويلفت النظر في هذا السفر العجيب أن قارئه حيثما قلبه استطاع أن يدخل إليه ، وهذا يدل عندهم على اللانهاية واللابداية.

إذا آمنا أن الكتب السماوية جميعًا هي تنزيل العزيز القدير فإذن مصدرها واحد وتوجيهاتها واحدة ، ولهذا تتشابه في كثير من مضامينها ، مشيرًا إلى أن هذه المضامين أنضج تعبيرًا دينًا بعد دين ، وعندما ترجم الكتاب ووضع بين يدي لوضعه بصيغته النهائية الأدبية ، بذلت أعظم جهد بذلته في حياتي لإخراجه بحلة تناسب تاريخه ومكانته ، نظرًا لأن ثقافتي عربية ولأنني أساسًا متخصص بالأدب العربي ولسعة إطلاعي على الأدب العربي قديمه وحديثه ، وحفظي للقرآن الكريم وتمثلي به ، وللكثير من النثر الجاهلي ونثر صور الإسلام ، وخاصة خطب الخطباء ، فقد سلكت طريقًا بيِّنًا في صياغة جُمل الكتاب المقدس العربية ، وهي قريبة من سجع الكُهَّان الذي ألفناه وحفظناه من أدب الجاهلية مثل خُطب قُس بن ساعدة وحِكم أكثم بن صيفي ، وغيرهما.

قلت إن الصابئة يؤمنون بإله واحد هو الله سبحانه وتعالى ولهم عدة أنبياء أولهم آدم "ع"، وهم يسمون أنبياءهم المعلمين الكبار، لأن الصابئة لا يؤمنون بوسيط من البشر بين الخالق والمخلوق.

الديانة الصابئية فيها الصلاة والصيام، صيامها أربعون يومًا متفرقات على مدار السنة يمتنع فيها صاحبها عن أكل اللحوم ومشتقاتها، وصلاتهم ثلاث أوقات، يقف الصابئي منهم قارئًا تلاوات للكتاب المقدس، بعد أن يغتسل بالماء، تمامًا كما يتوضأ المسلم.

وغالبًا تفضل الصلاة على الماء الجاري على ضفاف الأنهار، فالماء الجاري لدى الصابئة من أهم مقومات ديانتهم، فمنه كل شيء وبه يطهر كل شيء، ولهذا كان سكناهم ومعابدهم دائمًا على ضفاف الأنهار.

يحرمون في الطعام ما يأتي: الميتة، المرضعة، الحامل، الجريحة ذات العلامة. ويشترط أن يكون الذبح بسكين حادة، لكي لا يتعذب الحيوان المذبوح، بعد غسله وتطهيره تمامًا بالماء الجاري، ويلبس عند ذبحه ملابس الطقوس الدينية الخاصة البيضاء، ويوضع الكبش على فرشة من القصب كي لا يمس الأرض.

الملابس هي نفسها في الزواج والعماد والوفاة، هي الكفن نفسه، يمكن للصابئي أن يتعمد في أي وقت يشاء ويكون التعميد في أيام الآحاد فقط وأيام الأعياد الدينية المقدسة، والعماد هو تطبيق للمتعمد جسدًا وروحًا بإدخاله في النهر في الماء الجاري من قبل رجل الدين، وقراءة التسابيح عليه، وهذا العماد يرافق الزواج دائمًا وهو طقس من طقوسه.

لدى الصابئة أربعة أعياد: عيد الخليقة وهو خمسة أيام، يتم في سادسها خلق السماء والأرض وما بينهما وهو من أهم الأعياد الدينية، ثم العيد الكبير وفيه طقس غريب أنهم يدخلون بيوتهم ويغلقون أبوابها لليلتين ويوم واحد بينهما، ولهذا الطقس أكثر من تفسير: الأول: هو الأكثر جدية، أن الصابئة يؤمنون بأن

لكل إنسان صابئي ملاكًا يحرسه ويحميه وفي كل عام مثل هاتين الليلتين وهذا اليوم يصعد الملائكة الحُرَّاس إلى السماء يقدِّمون عن أصحابهم الحساب، ولهذا تبقى المعمورة بدون حماية.

أما العيد الثالث هو العيد الصغير. وهناك عيد ديني ليوم واحد، وهو عيد الرحمة على ٣٦٠ رجل دين قتلهم اليهود.

مراتب رجال الدين: المرحلة الأولى الترميذة أي التلميذ، بعدها الكنزورا (المعلم)، ثم تأتي مراحل أعلى إلى أن يصل إلى الريشما أي رئيس الأمة، وهذه المرتبة لم يبلغها أحد إلا في العصر الحديث، حيث ارتقى ثلاثة رجال دين لمرتبة ريش أمة ( رئيس أمة).

كانت تجمعات الصابئة معظمها في جنوب العراق على الأنهار والأهوار، ثم بدأوا ينتقلون إلى محافظات العراق الأخرى، وخاصة بغداد والبصرة، الآن تفرقوا في عدة بلدان.

أما شخصياتهم العلمية والأدبية اللامعة عبر التاريخ، في العلم: من أكبر علماء العصر العباسي إسحاق بن حنين، وحنين بن إسحاق، وثابت بن سنان، وسنان بن ثابت وثابت بن قرة. ومن أحبائهم المشهورين في العصر العباسي: أبو إسحاق الصابي، وفي المعاصرين عالمهم الكبير الذي ارتحل قبل سنوات الدكتور عبد الجبار عبد الله، وهو واحد من أكبر علماء العالم في الجيوفيزياء تأتي درجته حسب تقرير العلماء الأمريكان، الثاني في العالم بعد أينشتاين... ومن شعرائهم: الشاعرة لميعة عباس عمارة، وعبد الرزاق عبد الواحد.

**▪ تعقيب:**

إنه صاحبي وصديقي وقد عشنا أيامًا حلوة معًا، عندما كلفناه بصياغة الترجمة الحرفية للكتاب المقدس ( الكنزا ربا ) بلغة عربية سليمة، بعد أن اختلفنا نحن اللجنة العليا التي كان برئاستي وعضوية السيدين حمودي مطشر ونزار ياسر،

قلت اختلفنا مع الأستاذ الفاضل مجيد جابك الذي صاغ جزءًا منها بأسلوب السرد ولأمور أخرى اختلفنا معه واتفقنا مع الشاعر عبد الرزاق فاطلع عبد الرزاق على هذا السفر وأعجب به وقال هذا عمل عظيم سيكون مجدي فيه ، وعاهدنا أن يبذل قصارى جهده لإخراجه بلغة عربية راقية ، وهكذا تم الاتفاق على اعتماد سجع الكُهَّان الذي كان يخطب به المندائي قُس بن ساعدة الإيادي في الناس أيام سوق عكاظ.

وكما قال الشاعر: الصابئة يسمون أنبيائهم المعلمين الكبار وهكذا كانوا ينادون بها يهانه ، ولكن بعد أن انتقل إلى ربه وكان مسراه عالم الأنوار اعترفوا أنه آخر أنبيائهم ، إذ كانوا يقولون كيف لبشر مثلنا يأكل ويشرب ويمرض ويموت أن يكون نبيًا.

أما الصيام عند الصابئة المندائيين فمدته ستة وثلاثون يومًا موزعة على أيام السنة وليس أربعين يومًا ، أما صلاتهم تفضل أن تكون على الماء الجاري في الأنهار ، فإن الحياة تطورت وتعقدت ، فتطور المندائيون معها ، وحاليًا حتى مراسيم الزواج والصباغة تجرى في المنادي في أحواض خاصة يدخل لها الماء ويخرج منها.

أما المحرمات فالدين المندائي يحرم الميت والدم والمشوه والحامل والمرضع والتي أجهضت والحيوان الكاسر والجارح وكل ما مسه حيوان مفترس. ولهذا تجدهم يتجنبون ذبح الإناث ، وصحيح كما قال الشاعر يجب أن يكون الذبح بسكين حادة ولكنها معقمة وذلك بحرقها بالنار.

أما عن عيد الخليقة ويسمونه البنجة أي خمسة أيام بيضاء يكون فيها باب عوالم الأنوار مفتوحًا وفيها تمَّ خلق عالم الأنوار ، ويعتقد المندائيون أن من يموت منهم في هذه الأيام يصعد إلى عالم الأنوار دون حساب.

أما أن يكون لكل صابئي مندائي ملاكًا يحميه فالصحيح أن لكل مندائي مثيل (دموثا) في عالم الأنوار فإن مات هذا المندائي تعود النشماثا إلى هذا المثيل

عند عروجها، والعيد الكبير والاختباء في البيوت، لمدة ست وثلاثين ساعة عدة تفسيرات منها أنه هناك ثلاث ملائكة هيبل وشتيل وآنوش يحرسون الناس في هذا العالم وكل سنة مثل هذا الوقت يعرجون إلى السماء ثم يعودون فتكون رحلتهم ذهابًا اثنتي عشرة ساعة ومثلها في العودة، ويبقون في عالم الأنوار مثلها أيضًا، ولا أحد يعلم أن كانت رحلتهم لزيارة عالم الأنوار أم لتقديم المعلومات كما يقول الشاعر.

لقد بذل الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد جهدًا كبيرًا في صياغة (الكنزا ربا) لمدة عام وكنا معه نتابعه خطوة خطوة وكان متعاوناً ومتطوعًا وفتح مكتبه وبيته لنا، ولقد شكلنا لجنة سميناها لجنة التدقيق والسلامة الفكرية من أساتذة مندائيين لهم حضورهم واحترامهم وتقديرهم أن يتابعوا ويطبقوا ويقارنوا نصوص الترجمة الحرفية مع نصوص الصياغة اللغوية لأن الترجمة الحرفية قام بها الأستاذان الفاضلان يوسف متى قوزي وصبيح مدلول الخميسي أما الصياغة اللغوية فكلف بها الشاعر عبد الرزاق وتولت اللجنة العليا ولجنة التدقيق سلامة جوهر النص بعد الصياغة، وهكذا أقرت الترجمة لأنها أمينة ودقيقة من اللغة المندائية مباشرة إلى اللغة العربية وأقرت الصياغة اللغوية لأنها حافظت والتزمت بجوهر النص دون زيادة أو نقصان ونضرب مثلاً في ذلك الترجمة العربية مثلاً ورد فيها ركب حصانه والصياغة تكون "امتطى جواده" تغيرت الكلمات ولكن بقى جوهر النص أي المعنى المقصود نفسه ولكن بلغة عربية أرقى وأحسن.

وأعتمد أسلوب سجع الكُهَّان لأنه أسلوب لغة عربية سبقت القرآن الكريم وهو أسلوب رصين وله قوة بيان وهيبة وخشوع وأن عددًا من الأدباء المندائيين في الجزيرة العربية قبل الإسلام اعتمدوه في خُطبهم، وبينهم قس بن ساعدة الإيادي وغيره كما أسلفنا.

**- الشاعرة لميعة عباس عمارة:**

نسرد شيئًا مما كتبته الشاعرة في مجلتها التي ترأسها (المندائي) التي تصدر في المهجر منذ عام ١٩٩٠...

(وأن ألفت الأنظار إلى أول دين وحَّد الله، وقدَّس الطبيعة والكون، وميَّز الخير من الشر والنور من الظلمة، ونادى بالسلام والمعرفة، هذا الدين غير التبشيري وقد أغلق أبواب الانتماء إليه منذ مئات السنين بعد كوارث وقعت لهذه الأسباب. إن اعتزازنا الكبير بأن يعتز المسيحيون بدينهم ويعتز المسلمون بديانتهم، فنحن نشعر بالفخر لأن هذه الفروع من ذلك الأصل، ونحن نعرف تمامًا نقاط الالتقاء في المعتقدات مع الإسلام والمسيحية).

وقالت في محاضرة لها في (كاليرى الكوفة) في لندن عام ١٩٩٥م في جمهور غفير من المثقفين العراقيين بعنوان هل ضاعت صحف إبراهيم "ع":
(إن الصحف المقدسة لا يمكن أن تضيع، يمكن أن تقتبس منها، وتُحرَّر ويعاد صياغتها، أو تُسرق كليًا ويراعيها آخرون إلى أن تظهر الحقيقة، ويمكن أن تكون محفوظة في أماكن عند حُفَّاظ استماتوا في صيانتها وحفظها ونسخوها كما هي متّبعين طريقة الإسناد في الكتابة. وظلت هذه الكتب سرَّ الأسرار إلى يومنا هذا... ولكنها لم تضيع، ولا يمكن أن تضيع مهما حدث من ثورات سياسية وقتل وتدمير، وزلازل وأعاصير، وأوبئة وفيضانات، لأنها كلمات الله تعالى... هذه الكتب غير قابلة للفناء ما بقيت على الأرض بقية من ناس... وهذا هو ما حاصل في اعتقادي أن صحف إبراهيم هي التي تحتفظ بها الصابئة حتى يومنا هذا... وهي كتاب (الكنزا ربا) الذي هو أقدم الكتب السماوية).

**▪ تعقيب:**

من قال إن كتاب (الكنزا ربا) قد ضاع، فهناك منه عشرات النسخ قبل الترجمة إلى العربية محفوظة عند رجال الدين وفي بيوت المؤمنين مكتوبة باللغة المندائية الآرامية ولكن خوف المندائيين عليها جعلهم يتكتمون عليها.

وعندما بدأنا الترجمة حصلنا على نسخ كثيرة وجدنا أن أوضحها ما نسخه بيده الكريمة الكنزبرا دخيل فُاعتمدت نسخته للترجمة لكونه رجل دين ورع وأمين وموضع ثقة واحترام كل المندائيين وفقيه في الدين المندائي.

والسؤال: هل حقًا هذه الصحف نزلت على إبراهيم "ع" ؟ أم على آدم وشيت وإدريس وإبراهيم و يهيا يهانا وحفظت على الصدور ثم دونت... مع اعتزازي بما ذهبت إليه الشاعرة المبدعة لميعة.

openkan.com

**- مجيد جابك جاري:**

أستاذ اللغة العربية في مقال له (لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن صابئة حران).

(فى رأيي أن الصابئة طائفة واحدة، أصلها من الشرق في وادي الرافدين، مهد الحضارات عاشوا في تلك المنطقة فأثروا فيها وتأثروا بها، ثم انتشرت فلسفتهم الدينية في شمال الحجاز وفلسطين والأردن وحران والرقة والخابور وفي مواقع في أعالي الفرات. كما استقرت جماعة منهم في مصر بالإسكندرية، وإلى غيرها من الأماكن حاملين لواء التوحيد أينما حلوا، فكانوا من الأقوام القديمة التي بشرَّت بالتوحيد؛ إن لم تكن أقدمها.

وحينما كانوا في فلسطين، حدث بينهم وبين اليهود نزاع ديني، لاسيما بعد وفاة نبيهم يحيى "ع" فساموهم سوء العذاب وأذاقوهم مرارة الاضطهاد، فتفرَّق أنصاره ومؤيدوه، فاضطروا للهجرة إلى حران ذات المركز التجارى... وهنا نسأل لماذا هاجر الصابئة من فلسطين إلى حران دون غيرها من المدن؟

يجيبنا على هذا السؤال الكتاب التاريخى "حران كويتا" حين ذكر في بدايته "واستقبلتهم حران" أي صابئة حران، وذكر أيضًا "أن للمهاجرين إخوان في الدين" وهذا يدل على أن حران كانت موطن الصابئة المندائيين كما أنها موطن لأقوام آخرين تعايشوا معهم. وإلا فلماذا قصدهم المهاجرون دون غيرهم؟ وكيف يستقبل صابئة حران هؤلاء المهاجرين بحرارة، إن لم يكونوا موحدين على دينهم؟ وهل يجوز أن يستقبل صابئة حران وهم وثنيون وعبدة نجوم وكواكب موحدين ليسوا على دينهم؟

**▪ تعقيب:**

الأستاذ مجيد جابك غنيٌ عن التعريف خاصة في الأوساط المندائية، وهو أستاذ لغة عربية مقتدر ويجيد اللغة المندائية، سبق أن كلفته اللجنة العليا للترجمة

بصياغة الترجمة الحرفية لكتاب ( الكنزا ربا ) ، ولكنها اختلفت معه ؛ أو قل اختلف معها لأسباب لا مجال لسردها ، فتم الاتفاق بعدها مع الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد.

وإني كرئيس لجنة أعتز بهذا الرجل وبكفاءته وبقدراته ودقته رغم زعله على اللجنة.

obeikan.com

**- الأستاذ/ حامد مفشغش السعدي:**

كتب الأستاذ الفاضل حامد السعدي في مجلة "الصدى" التي تصدر في السويد (ستوكهولم) عن الجمعية المندائية العدد ١٧ ص ٤ مقالاً جاء فيه:

( إن من يتمعن ويتعمق بدراسة النصوص المندائية ، يقف إجلالاً للإيهاب الإيماني الذي يتجلى من خلال القيم الإيمانية السامية والمُثل النبيلة والوصايا والمواعظ والحكم التي تهدف إلى إرساء مجتمع بشري مسالم يتعايش فيه أبناء آدم بأمان واطمئنان ، مجتمع يسوده الحق والعدل والمساواة ، بعيدًا عن الظلم والعنف والطمع ، ولعل الصور الرمزية في تلك النصوص ، تزيدها بهاءً وصفاءً وكمالاً ، وتضفي عليها هيبة وجلالاً لتعرش في قلوب المؤمنين.

إن أول ما يجذب انتباه القارئ لافتتاحية كتابنا المقدس (الكنزا ربا) ، هو أن الله جلَّ جلاله لا يرد إلا بأوصافه وأسمائه الحسنى فهو "النور" وهو "الملك" وهو "ملك النور" والنور هو الحياة.

ومن الصور الرمزية الفريدة من النصوص المندائية ، طلب المغفرة للمعلمين بعد الوالدين مباشرة ، وكأن الله يشير بذلك إلى أهمية العلم ومن يغرس العلم ، كما أنها إشارة ترمز إلى أن الحياة ستبنى على العلم والمعرفة.

صورة رمزية أخرى تتم في مراسيم عقد القرآن من خلال اقتسام حبة التمر مناصفة بين الزوجين ، إشارة إلى رمزية المشاركة بين الزوج والزوجة في بناء الأسرة وتحمل المسؤولية في تنشئة الأبناء على الصلاح والفضيلة. يلي ذلك ترديد القسم أمام رجال الدين بأن يربط كل من الزوجين برباط روحي لا انفصام له والعهد بالاحترام والتعاون وعدم الخيانة.

وفي كتمان تقديم الصدقات ، تكمن صورة أخرى تهدف إلى حفظ كرامة المتصدق عليه وكي لا تعتبر الصدقة سبيلاً للمباهاة والتفاخر.

أما المركزية في الصباغة (المصتبا)، فتكمن في نزول المندائي إلى الماء برمز إلى نهاية الحياة سابقة وبداية الحياة جديدة مليئة بالصلاح والتقوى ، وقسم للاستقامة والنزاهة والعدل والحق.

وهناك كثير من الصور الرمزية في النصوص المندائية، وهي غنية بمضمونها ومحتواها، تنير الطريق أمام المندائي.

## ▪ تعقيب:

السعدي أستاذ فاضل ومعلم قدير قدَّم جهودًا كبيرة في خدمة الصابئة المندائيين متطوعًا مع شقيقه الدكتور قيس السعدي، ولا تخلو تشكيلة في مؤسسات الطائفة من واحد منهما.

عملت معه في مجلس الشؤون العام فكان المعلم والموجه والإنسان وهو أحد الذين أرسى دعائم مجلة آفاق مندائية عندما كانت طفلاً رضيعًا يحبو وساهم في تطورها، وله إصدارات جميلة محببة للنفوس، إنسان بسيط وادع يحب الخير لكل الناس فتحس بمندائيته في طيبته وتسامحه وابتسامته العريضة المرسومة على وجهه باستمرار.

ولغرض فهم النصوص المندائية الدينية والتاريخية علينا فهم الرمزية التي يمتاز بها الأدب المندائي ، وهذا الأسلوب تميزت به الكتب الدينية المندائية للحيلولة دون معرفة أسرارهم من قبل الآخرين... ولهذا من بالغ الصعوبة فهم النصوص إلا من المندائيين المبحرين بالدين المندائي من الفقهاء.

**- الدكتور قيس السعدي:**

## الوجود المندائي ببلدان المهجر

لا يذكر أحد قدم وجود الصابئة المندائيين وإن اختلف المهتمون بدراستهم عقيدة وأُمةً وتاريخًا، فإن وراء ذلك الاختلاف تلك الأقدمية إضافة إلى عوامل أخرى تمثلت في الانغلاق والتحدد بما يوفر البقاء ويحرص عليه.

وحيث لا يعيننا التاريخ كثيرًا على معرفة أحوال هذه الطائفة ولا يسجل سيرة تتبعية، فإن في بقائها عقيدة وطقوسًا ولغةً وتراثًا ما يسجل للمندائية وأتباعها قدرتهم على مصارعة الظروف القاسية التي عصفت بمواقع تواجدهم.

ومن جملة ذلك نستقرئ:

١. صحة العقيدة وقوة الإيمان.
٢. المعايشة الحريصة على البقاء.
٣. القدرة على الدفاع عن الكيان.
٤. اعتماد المرجعية في قيادة شأن الأمة.
٥. وحدة قرار الأمة في الجوانب المصيرية.

ونتوقف عن التدليل وسوق الأمثلة اختصارًا، ولأن ما تقدم هو استشهاد واقع وليس مبررات إقناع، هذا الواقع الذي يؤشره بقاء الطائفة كل هذه الآلاف من السنين. وقد شهدنا، نحن أبناء الجيل الحالي، مواقع التواجد والتجمع وشكل كيان الطائفة على امتداد جنوب العراق وبعض الجنوب الغربى الإيراني، ثم شهدنا نزوح أبناء الطائفة إلى ما هو أرحب في المدن الكبيرة وفاعلية وجودهم فيها بما عرفوا به من ذكاء مهني وأكاديمي وحس وحرص وطنيين وإخلاص وظيفي واجتماعي استحق أن يكون سجلاً لها في سفر الوجود الوطني الذي عززته بما سال من دماء أبنائها الزكية مخصبة تراب وطن يحبونه.

وحيث أصبحت الحروب فقدًا للأمن ، طويلة ممتدة لا تكفيها الدماء ولا تقف عند حد تقدمه الأسرة أحد أبنائها ضحية ، بل توجهت بمختلف أشكالها لتأتي على الأسرة وغدت تهدد الكيان كله فقد أصبحت مغادرة الوطن نوعًا من الهجره حينما وجد فيها الأبناء حلاً وتخلصًا من الظروف الصعبة التي أصبح يعيشها العراق والنتائج السلبية التي أفرزتها الحروب على المجتمع عامة وما تتأثر به الطوائف الصغيرة قبل غيرها ، هكذا عند المندائيون على قلة عددهم يتوزعون اليوم البلدان قياسًا بقدرات الوصول وظروف اللجوء في البلدان المتاحة.

وما بين صدمة مغادرة الوطن ومشكلات الوصول ودوامة الأحداث اللاحقة وضعف الإمكانيات وعدم وجود مرجعية أو كيان ثابت يعني بالجميع ، فأن النظر في المال يكون أمرًا صعبًا ومحيرًا.

ومع ذلك فإن التحسب للمندائية المرتبطة ببقاء أبنائها يمكن النظر في التحديات التي تواجه وجود الطائفة في المهجر ومنها:

١. ازدياد نسبة المهاجرين من أبناء الطائفة باستمرار دون إشراف محدد.
٢. ضياع التوجه وتوزع التواجد ببلدان المهجر بما يزيد على عشرين بلدًا.
٣. قادت النقطة السابقة إلى توزع الأسرة أحيانًا على أكثر من ثلاث بلدان بثلاث قارات.
٤. استمرار الحروب وفقد الأمن على الوطن الأم وتوطن البعض ببلدان المهجر بحصولهم على الجنسية الجديدة يزيد من توجهات البقاء واستمرار التوزع بما يضعف التجمع.
٥. تعلم الأبناء لغات وعادات المجتمعات الجديدة يزيد من تكيفهم للوضع الجديد بما سيضعف أية توجهات لاحقة لأي تجمع أو عودة.

٦. فاجعة ترك الوطن وصعوبات الحصول على فرصة اللجوء تجعل الأسرة مصدومة لفترة طويلة بالواقع الجديد والانشغال بمتطلباته بما يبعدها عن التفكير بالمصير الجماعي.
٧. بذرة الجهود الموجهة لتجمع الطائفة وتوحيد بلد هجرتها بأسباب صعوبة هذا الإجراء من جهة، وضعف قدرات تبنيه المادية والبشرية من جهة ثانية رغم الحاجة لطرق أبواب من يمكن أن يسهم ويساعد فيه.
٨. كبر حجم أغلب بلدان المهجر جعل أبناء الطائفة المتواجدين متوزعين فيها بما أضعف فرص اللقاء بفقد حق التجمع وصعوبته حتى في البلد الواحد.
٩. حاجة بعض الشباب للحصول على الإقامة وآخرين ممن توطنت فيهم الغربة والاغتراب أدت إلى ارتباطهم بزيجات غير مندائية مما يمكن أن تكون نتائجه سلبية خطيرة.
١٠. انشغال أبناء الطائفة ممن كان لهم تواجد قديم ببلدان المهجر بظروف ومتطلبات أعمالهم والعيش الذي اعتادوا عليه أبعد أغلبهم أن يكونوا السند الموجه للآخرين.

ومع كل ما تفرزه وتفرضه هذه التحديات والتي تشكل عوامل تهديد لكيان الطائفة، فأن الآمال ما تزال معقودة على بقاء المندائية حيَّة بطائفتها ومن ذاك:

- انبثاق المجالس والجمعيات والتشكيلات المندائية خطوة صحية ومطلوبة مع ضرورات السعي الدائم لمعنية جماعية وتعاون ونكران ذات في هذا العمل الطوعي الذي يعول عليه كثيرًا في خدمة الطائفة وديمومة بقائها.
- المتابعات الكيانية والفردية لكثير من الشخصيات المندائية بمساهماتها في المحافل الدولية بما يديم صوتها ويعمل على التعرف بها وبمتطلبات بقاء كيانها.

- تزايد الأنشطة الأكاديمية والإعلامية الخاصة بالمندائية بما يزيد من التعرف بها من جمهور ويحفز أبناءها على التعرف بها وبمتطلبات بقاء كيانها مع الحاجة لصوت أعلى ومساهمات أوسع.
- تزايد الأدوات والوسائل الإعلامية المعتمدة من قبل الطائفة بما يمكن أن يوصل الصوت المندائي إلى مناطق التواجد قدر المستطاع مع الحاجة لدعم هذه الوسائل وتطويرها.
- اعتماد التقنية الحديثة في وسائل الاتصال ومنها صفحات الإنترنت وسعي بعض أبناء الطائفة لإنشاء صفحات مندائية خاصة وعامة إضافة لجهود الجمعيات مع ضرورة الحرص على تقديم الإيجابي والصحيح والابتعاد عن التقاطع في المعلومات والتوجهات.
- الحرص المندائي لإقامة الزيجات المندائية سواء بالاقتران من الوطن الأم أو ما بين دول المهجر أو البلد نفسه والحاجة أساسية في هذا الأمر للتسهيل والتشجيع وتقليص المتطلبات.

obeikan.com

**- أحمد راهي صالح:**

باحث مندائي مقتدر في هيئة التوعية والإرشاد، أصدر كتابه "مندائيو أورشليم" دراسة مقارنة للبحث في موضوع الأصول الحقيقية للنبي يهيا يوهانا وعلاقته بالطوائف المندائية المتخفية في أورشليم.

يخبرنا كل من الأدب المندائي وكذلك المرويات التي تتناقلها الأجيال إلى تعرض المندائيين أينما رحلوا إلى كم هائل من الاعتداءات من قبل الأقوام المحيطة عمومًا والمؤسسات الدينية لليهود بشكل خاص، حتى باتت ذاكرة القتل والترويع جزءًا لا يتجزأ من الموروثين الديني والمثيولوجي، ومن المجازر التي لا تزال شاخصة وحيَّة في ذاكرة المندائيين مجزرة الإبادة الجماعية لرجال الدين في أورشليم على أيدي اليهود إبان بروز المليشيات اليهودية بعد وفاة النبي يهيا يوهانا والتي راح ضحيتها ٣٦٠ رجل دين، وهذا رقم رمزي ربما يشير إلى دورة السنة المندائية... وكذلك المجازر التي حصلت على يد الماشيح اليهود الذين لم يتركوا حيًّا عام ١٣٢م والتي تمَّ خلالها القضاء التام على ما تبقى من المندائيين ممن آثر البقاء بعد رحيل القسم الأكبر من إخوانهم إلى بلاد الرافدين. وبشكل عام فإن حالات الاضطهاد على أيدي اليهود وكذلك المجوس والمسلمين لا تنفك في التداول بين المندائيين.

وفيما يخص مندائيو فلسطين تحديدًا، فإن أشد ما تعرضوا له من اضطهاد كان على يد المؤسسة الدينية لليهود منذ استيطان العبريين المنطقة بداية القرن العاشر قبل الميلاد، والذي على أثره تشرذم المندائيون آنذاك إلى قسمين، القسم الأول وهم القلة الملتزمة بأصول الدين فقد هربوا إلى الجبال البعيدة حتى بنوا بداخلها مساكن خفية، كجبل طورا أد هيورا (الجبل الأبيض) وطور أد فادي (جبل المندائيين)، والمحدد في منطقة حران... وقد استطاعوا أن يكيفوا حياتهم في تلك المناطق، محافظين على المنهج المندائي.

أما القسم الثاني ، وهم عامة المجتمع المندائي ممن تمكن من النجاة ، فقد كيفوا أنفسهم على العيش عن الراية اليهودية من خلال مبدأ التقية والذي تجيزه نصوص الدين المندائي كما ورد في (الكنزا ربا) :

**(إذ ضيق عليكم الخناق فقولوا له: نحن من أتباعك ونعتقد دينك ولكن لا تدينوا له بصحيح قلوبكم ولا ترتدوا عن دين ربكم ملك النور السامي...)**

وهذا القسم لم يستطع المحافظة على كامل الشرائع المندائية لاندماجهم مع اليهود لعدة قرون... وبالرغم من بقاءهم كمجتمع مندائي باكتفاء ، إلى أن الناصورائيين الحقيقيين أصحاب المخابئ... كانوا ينظرون لهم على أنهم أقل منزلة دينية منهم ، ولهذا كانوا يطلقون عليهم تعبير الخاطئين أو الخطائين (اليهوطائي)... بمعنى النازلين مثلهم مثل مندائي تزوج زواجًا غير شرعي مثلاً.

**▪ تعقيب:**

تذكر لنا المصادر البحثية أن اليهود قتلوا ٣٦٠ رجل دين فتصور عدد المندائيين من عامة الناس الذين قتلوا ، إنها إبادة جماعية... أما مشكلة اليهوطائي فهو ظاهريًا يهودي وباطنيًا مندائي بمعنى ازدواج في الشخصية بسبب الخوف وهذه مشكلة معقدة تضعف الشخصية المندائية... والمندائيون عبر تاريخهم تعرضوا لأعمال إبادة جماعية في إيران أيضًا بسبب التطرف الديني البغيض وهنالك حالات محدودة حدثت في العراق أيضًا، وهذا السبب الرئيس لهجرة المندائيين كل فترة من الزمن وربما كان سببًا في انزوائهم في أعماق الأهوار لعدة أجيال.

كان الناصورائيون المختبئون في الجبال يستقبلون أعدادًا من اليهوطائيين ويتبنونهم... كما فعلوا مع الرضيع النبي يهانا يوهانا ، الذي ترك كل الدلائل على مندائيته ومندائية زكريا وأنشبي... وكان يسمى أبوه زكريا أما سابا أي

شيخ المؤمنين وأمه يلقبونها الياصابات أي (الشيخة). ومن يريد التأكد من مندائية يهانا يوهانا وأبيه زكريا وأمه أنشبي عليه بقراءة كتاب (مندائيو أورشليم والمنقذ المنتظر) لمؤلفه أحمد راهي صالح.

obeikan.com

**- همام عبد الغني المراني:**

في عام ١٩٩٧ والصابئة المندائيون في قمة عطائهم ونشاطهم لبناء مؤسساتهم وتطويرها ؛ نشر السيد سامي الجيتاوي في جريدة (العربي اليوم) التي تصدر في الأردن مقالاً عن الصابئة المندائيين تحامل فيه عليهم لغرض في نفسه دون أن تكون لديه معلومات ومعرفة كافية عنهم ودون أن يطلع على كتبهم ويتعرف عليهم عن قرب ، فردَّه الأستاذ المراني وكان يشغل وقتها سكرتير مجلس العموم في تشكيلات الصابئة المندائيين:

ولكون المقال طويل نوعًا ما نختصر هنا ما ورد فيه[١]:

يذكر الأستاذ الفاضل أن كلمة الصابئة مأخوذة من الفعل المندائي صبأ والذي يعني الارتماس بالماء الجاري والتعمد، وليس من الفعل صبأ العربي الذي يعني من ترك دينه واتخذ له دينًا جديدًا ، ولمَّا كان أهل مكة أدرى بشعابها فإن الصابئة المندائيين حتمًا أدرى من تفسير الجيتاوي.

والشيء الثاني الذي أكَّد عليه الأستاذ المراني أن الآيات القرآنية الثلاث تؤكد أن الصابئة المندائيين قومٌ موحِّدون كالمسلمين والمسيحيين واليهود ، فإن شكَّك الجيتاوى بالتوحيد فهذا التشكيك يشمل الجميع لا سمح الله ، وفي سورة الحج قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٢]. فيسخر الأستاذ المراني من الكاتب الجيتاوي قائلاً له إن الله يفصل بينهم ولم يقل الجيتاوي ، إن الله من يقرر يوم القيامة من كان موحِّدًا ومن كان مشركًا يا جيتاوي وليس أنت وعليك أن تحترم نفسك لأنك خضت في أمر لا تملك عنه معلومات وافية.

---

١ يمكن الإطلاع على المقال كاملاً في الفصل الثامن (الإجحاف)

٢ القرآن الكريم: سورة الحج، الآية ١٧

ويستطرد الأستاذ المراني قائلاً:

"... وأخيرًا نصيحتي للسيد جيتاوي، أن يقرأ القرآن الكريم قراءة معمقة، وأن يطلع على تفسير المفسرين الصادقين وما كتبه المؤرخون الموضوعيون المحايدون، لا أن يعتمد على بعض الآراء المتزمتة، وأن يتجنب الاسلوب الانتقائي المزاجي في اختيار بعض الاقتباسات، وأن يرقب وبإمعان في كل ما يقال إذا أراد أن يدلي بدلوه في هذا الميدان الواسع".

- **تعقيب:**

الأستاذ همام عبد الغني المراني من وجهاء الصابئة المندائيين ومن المثقفين الواعين والمدافعين المتمرسين، عمل في الصحافة زمناً وأبدع فيها، وترأس نادي التعارف وطوره، وانتخب سكرتيرًا لأول مجلس عموم و أداره بجدارة ونجاح مع الأستاذ صلاح جبار عوفي عندما كان مقررًا للمجلس، هذه كفاءات يعتز بها الصابئة المندائيون ويفخرون بها على مرِّ الأجيال.

**- الأستاذ مؤيد مكلف سوادي:**

كتب الأستاذ مؤيد أستاذ اللغة الإنجليزية ومدرسها في مجلة هيتموثا التي تصدر في بغداد التالي:

"إن من يقول بأن الدين المندائي دين مغلق هو على خطأ ، إنه دين منفتح بعلاقاته الإنسانية وأفكاره ، وإن المندائيين أناس متضامنون فيما بينهم كأقلية دينية لها تقاليدها وقضاياها الروحية ، وهذا شيء طبيعي ولا يعني انعزالهم عن الآخرين ، لأنهم يحسون بمسؤولياتهم تجاه غيرهم من الأقوام والأديان ، فديانتهم إنسانية توصي باحترام الإنسان إلى أبعد الحدود ، والدليل ، أن أكبر المحرمات عندهم هو قتل النفس البشرية وإيذاؤها أو استعمال السلاح للفتك بالآخرين ، كما أنهم لا يؤمنون بالخلافات العنصرية ، ويؤمنون بالمبادئ الأخلاقية بقوة ، تلك التي تحضُّ على احترام الإنسان ، كما أنهم من الطيبة والبراءة بحيث يندفعون لعمل الخير وإيجاد المناسبات لعمل القضايا الصالحة لهم ولغيرهم.

إن القضايا الأخلاقية تتطلب أولاً احترام الحياة ، والعمل من أجل القضايا الإنسانية عمومًا ، وهذا ما نجده بارزًا في تصرفات المندائيين ، لأنهم أناس واقعيون ، يفهمون الحياة ويعيشون الجانب المشرق منها.

وللأستاذ مؤيد بحث بعنوان (شيء من تاريخ الصابئة المندائيين) المنشور في مجلة "المندائي" التي تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية.

"... الحديث عن أقوام نزحت من شمال شبه الجزيرة العربية ، بسبب ضيق موارد العيش والجفاف الطارئ الذي حلَّ في هذه الأصقاع ، مما دفع بهذه الأقوام إلى النزوح والتوجه إلى المناطق الخصبة ومصبات الأنهار ، والذي يتابع ما ورد في بطون كتب التاريخ ، يعلم أن هجرات متعاقبة قد حدثت على مرِّ القرون قبل الميلاد قصدت مصر والهلال الخصيب ، ومنها هجرة الآراميين عام ١٥٠٠ ق.م... فمن هم أولئك الآراميون!؟

ينسب المؤرخون الآراميين إلى "آرام" أو "رام" ويقولون إنه جدهم الأعلى ، ومنه جاءت التسمية... أما كيف يستندون إلى ذلك ، فمرده إلى ما ورد في الكتب الدينية للطوائف الأخرى مثل سفر التكوين ، وإلى ما تركته بصمات وبقايا الآثار التي عثر عليها في موطنهم.

والمندائيون الموجودون حاليًا منحدرون من أصل آرامى ، ولغتهم هي لهجة من اللهجات الآرامية ، ومما ورد في الكتب المندائية المقدسة ، هو أن "آدم كبرا قدمايي" أي آدم الرجل الأقدم ، هو أول أنبياء الصابئة المندائيين.

والكتاب المقدس الذي أنزل عليه اسمه (كنزا ربا) أي الكنز الكبير أو العظيم.

إن دين الصابئة المندائيين هو أول دين موحد ظهر بين البشر ، وانتشر في مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية وبلاد الرافدين.

ثم حمل راية التوحيد نبيهم الثاني "شتيل" أو شيت بن آدم ، ثم ظهر النبي نوح ويسمى بالمندائية (نو) ، ثم سام بن نوح وهو أصل الساميين قاطبة ، وإبراهيم الخليل (بهرام ريا) أو إبراهيم الكبير ، ثم كان آخر الأنبياء المندائيين (يهيا بر زكريا) أي يحيى بن زكريا ، وهو الذي أحيا الدين المندائي بعد انتكاسه.

**▪ تعقيب:**

هناك آراء عديدة حول هجرة المندائيين فهم أقوام مهاجرة عبر التاريخ ، أما الكتاب المقدس (كنزا ربا) فلم يُنزل كله على آدم وإنما الصحف الأولى ثم تتابعت على شتيل وإدريس وسام ويهيا يهانا عليهم السلام.

والأستاذ مؤيد شخصية يحبها الجميع فهو موسوعة ثقافية يحفظ الكثير من الشعر الفصيح والعامي والمواويل والأبوذية وكثير من المساجلات والقصص الطريفة ، وينظم الأناشيد ويكتب قصصًا شيقة للأطفال... هذه حقائق ولا أجامله فيها لكونه خالي.

**- الأستاذ حكمت شناوه السليم:**

كتب الأستاذ الفاضل حكمت مقالات عديدة نشرت مواضيعها في مجلة آفاق مندائية التي تصدر في بغداد عن مجلس الشؤون العام نوجز بعضها لقيمتها: فقد كتب الأستاذ حكمت عن "الفيض الإلهي". حيث قال:

"الثابت أن الديانة المندائية أقدم ديانة موحدة عرفها التاريخ، وإن كانت ما تزال حيَّة حتى الآن فلأن في عقيدتها القوة والمنعة التي زود بها الله سبحانه آدم (ع) وأملى عليه ديانتها بفلسفتها ومعتقداتها التوحيدية، وبالأقدمية أثرت هذه الديانة بشكل مباشر في بشر أصقاع عديدة "العراق، فارس، مصر، سوريا، فلسطين" من خلال الاعتناق، وبشكل غير مباشر في آخرين من خلال تأثرهم بفلسفة العقيدة المندائية التي يطلق عليها البعض الفلسفة الهرمسية نسبة إلى هرمس وهو "اخنوخ" اي إدريس (ع)، ومن أهم الأمور التي أحدثتها الفلسفة المندائية في الفلسفات الأخرى العديدة هو موضوع هبوط النفس "النشماثا" من العالم النوراني باعتماد مبدأ الحلول أو الفيض الإلهي "جلا"... وإذا كان الإنسان أرقى خلق الله، فإن النفس أرقى ما في الإنسان، وقد تجلت قدرة الله في خلقها بذكر واضح في النصوص المندائية، ومنها ما جاء في كتاب القلستا مجموعة الصلوات والتراتيل المندائية حين وقفت النفس بين النور الإلهي وبين الملائكة الأثريين سُئلت تكلمي أيتها النفس، من بناكِ؟. من هو المنشئ والباني والمكون؟ من أوجدك؟ قالت "أبي وهو واحد، واحد الذي خلقني ثم أخذني أحد الطيبين المخلصين، فلفني برداءٍ من نور وأعطاني لآدم، وحللت في الجسد بعذابه ومرارته وعوالقه، وبقيت أنتظر وأنا في ضيافة الجسد حتى أكملت قدري.

وتميز فلسفة الديانة المندائية بين خلق آدم بأمر من الحي العظيم في أنه أوكل "بثاهيل"، وبين وضع "النشماثا" في الجسد وهي العملية الأصعب، التي جاءت لاحقًا وبقدرة الحي العظيم، حيث فاضت النفس (نسمة الحياة) في جسد آدم، وهي النسمة النورانية التي رفضت أن تحط وتُحبس في الجسد المادي وأن

تنزل إلى عالم الماديات البغيض وتنادي ربها بضعفها عن مواجهة الشرور... وتأمل جمال ومصداقية تعبيرها حين تقول: "أعاني أنا ومبعد عن الفردوس... رعاني الله والأثريون أبغضوني وأتوا بي من دار طيبة... بدار شرٍّ أبدلوني".

لكنها تعود فتقول: "سمع الحي صرختي ، فأرسل لي منقذًا ، ملاكًا سماويًا. كلمني بصوته الطاهر النقي... لا تخافي أيتها النفس المسكينة ، لا تقولي أنا وحدي من أجلك ارتفعت السماوات واستوت الأكوان وأوجدت الأرض. ادخلي جسد آدم وسأرعاك ، وحينما يتم قدرك سننقذك من الأشرار وأعيدك إلى المكان الأقدس".

إن خلاص آدم نموذج الخلاص في العقيدة المندائية فبعد هبوط النفس (نشماثا) في جسد آدم ، يأتي "منداد هي" ويكشف له أسرار الكون ويكسبه المعرفة والحصول على الخلاص وهو عودة النفس سعيدة إلى عالم النور.

وعلى هذا يعد يوم الموت يوم الانطلاق "يوم فروقانا" وتتحرر النفس من حبس الجسد فترجع إلى أصلها { إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـــا إليه رَاجِعونَ } وتصبح مرة ثانية جزءًا من عالم النور ، وحتى تصله لابد من أن تكون طاهرة بمعرفتها وعملها وإيمانها (ناصوراثا) حتى تنال الجزاء الحسن...

وكتب الأستاذ حكمت مقالاً قيمًا في مجلة الصدى بعنوان "وحدة الكون وعوامل التأثير بين مكوناته" جاء فيها: (تنظر العقيدة المندائية إلى الكون المترامي ، وكوكب الأرض جزء منه ، على أنه يمثل وحدة متكاملة ، وكل جزء من هذا الكون يؤثر أو يتأثر بالجزء الآخر ويتعاطف معه ، وتكوين هذا الكون لم يأتي صدفة ، بل و فق أسس أمر بها الله (إلهي ربي قدمايي) أي الخالق العظيم... وبأمر منه نشر عددًا لا يحصى من الأرواح النورانية ، وهي كائنات جاءت إلى العوالم لتفعل الأفعال الإلهية ، ولكنها ليست بآلهة ، وفي جميع العوالم والكواكب والغيوم والكون بأجمعه. إذ ترى العقيدة المندائية أنه إلى جانب عالم الأرض ، هناك عوالم أخرى مكونة من الأثريين والملائكة ، كعالم (مشوني كشطة) أي

عالم الحق الذي يسكنه الشبيه (الدموثا) لسكان الأرض المندائيين. فعندما تتحرر النفس من سجنها (الجسد) تتحد بشبيهها في عالم الحق وفي عوالم الكون الأخرى ، عالم النور وعالم الطهارة... وهناك عالم الظلام... وبجانب هذه العوالم الموجودة في الكون المترابط المتعاطف توجد الكواكب والنجوم المسكونة من قبل الملائكة الأثريين بأمر من الحي العظيم.

ولشدة اهتمام الفلسفة المندائية بالتأثيرات المتبادلة للكون ودراسة مكوناته ، اهتموا بأكثر العلوم تقدمًا آنذاك ، وهو علم الفلك ، فأخذوا يقضون الليالي وخاصة في أوقات أعيادهم للتطلع إلى السماء ومراقبة الكواكب والكون بأكمله والتأثير المتبادل لمكوناته.

وقد تناول كتابهم "أسفر ملواشة" هذا العلم فدرسوا الشمس وشعاعها ورمزوا له بالعلم "الدرفش" ، كما اهتموا بملاحظة القمر ، وربطوا بين حركته في هلاله وتربيعه وبدره وتأثير ذلك على حركة الإنسان.

وبحثوا الفصول الأربعة وقسموا السنة إلى اثني عشر شهرًا واعتقدوا أن لكل فصل وشهر ويوم ووقت تأثيرًا محددًا على الإنسان في طالعه وعمله... كذلك الولادة في فصل معين ويوم معين ووقت معين ، يخلف طالع المولود وفقًا لوقت الولادة ، فأعطوا للوليد اسمًا دينيًا "الملواشة" يتفق مع فصل وشهر ووقت ويوم الولادة.

- **تعقيب:**

للأستاذ حكمت مقالات متعددة ، وهو من المثقفين المندائيين البارزين ، وله حضور في كل المحافل ، والرجل اسم على مسمى ورغم أنه يحمل أفكارًا تقدمية يعتز بها ويدافع عنها لكنه متعمق بدراسة الأديان وفهم فلسفتها وأفكارها ومن المؤمنين بالعقيدة المندائية والمدافعين عنها بقوة.

إن اهتمام علماء وأهل حران بدراسة الكون ومراقبة الأفلاك والكواكب وبناء الأبراج العالية ونصب ما يشبه التلسكوبات اليوم غاية علمية، وعلم واسع اهتم به أهل حران ونبع منهم عدد من العلماء الذين سبروا أغوار الفضاء، وأناروا العلم والحضارة والإنسانية، وليس العاملين في مرصد هابل اليوم والمراصد الأخرى من علماء الفلك والفيزياء هم عبدة كواكب كما يدَّعي بعض الجهلة، وإنما هذا علم واسع ومعقد يحاول الإنسان حل بعض رموزه فالله تعالى وهب الإنسان العقل وتعلم بالقلم ليزداد علمًا وإلا كيف تطور الإنسان كل هذا التطور وما سيأتيه المستقبل أعظم.

obeikan.com

**- الدكتور صباح خليل مال الله :**

عرفته في بغداد ، فقد بدأ في شارع النهر كان يملك محلاً لصياغة الذهب ، وكان صديقًا لي ، فكنا أوقات كثيرًا نتجاذب أطراف الحديث ، ولم أعرفه من المهتمين بالمندائيين وهو واحد منهم ، فلم يكن له حضور في المندي أو في إحدى مؤسسات الصابئة المندائية في العراق ، كان من المثقفين المندائيين ويجيد اللغة الإنجليزية وقد عشق الترجمة ووسع دائرة معلوماته من خلال قراءته وإطلاعه على المصادر باللغة الإنجليزية.

هاجر إلى إنكلترا وأكمل دراسته الأكاديمية هناك وحصل على شهادة الدكتوراة، التقيته ثانية في السويد عام ٢٠١٠ ولاحظت من خلال مناقشتي معه تطور كبير في معلوماته عن الصابئة المندائيين وعن الدين المندائي... وهذا مقالٌ له نُشر على الصفحة المندائية بعنوان "الصابئة المندائيون في العراق القديم":

لا أحد يعلم على وجه التحديد متى ظهر الصابئة المندائيون في العراق القديم ، ولكن اسمهم ارتبط بالنبى إبراهيم الخليل (ع) الذي عاش في مدينة أور السومرية "مدينة إلهة القمر نانا" منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، وكان إبراهيم (ع) أول من نبذ عبادة الأصنام ودعا إلى رب واحد عظيم القدرة أطلق عليه السومريون ملك إلهة ما هو فوق وما هو تحت "رب السماوات والأرض" وقد آمن الصابئة المندائيون بتعاليمه واحتفظوا بصحفه ومارسوا طقوس التعميد التي سنَّها لهم واستمروا عليها إلى يومنا هذا.

وقد هاجر قسم منهم معه إلى حران والقسم الآخر بقي في العراق ، وقد عرفــوا فيما بعد بـــ(ناصورايي اد كوشطا) أي حُرَّاس العهد الذين أسسوا بيوت النور والحكمة (المنادي) على ضفاف الأنهار في وادي الرافدين لعبادة مار اد ربوثا ( الله ــ رب العظمة)، واتخذوا من النجم القطبي ( أباثر) الذي دعاه السومريون (نيبورو) قبلةً لهم، وأنه هو الذي يشرف على الممرات بين الأرض والسماء لا أحد يعبر إلى ما هو فوق أو إلى ما هو تحت دون التوجه إليه.

كذلك كتب الدكتور صباح خليل مال الله في مقدمة كتابه كتاب يحيى (دراشا إديهيا):

لا أحد يمكنه أن يجزم بتاريخ المندائيين في بلاد الرافدين وما زالت أصولهم لغزًا محيرًا ومثار جدل بين العلماء والباحثين، فمنهم من ذهب إلى أنهم ظهروا قبل المسيحية بقرون في زمن بابل، ومنهم من ذهب إلى أنهم فرقة بقيت في فلسطين وهاجرت نتيجة لاضطهاد اليهود لهم فهاجروا إلى سورية وحران ثم نزحوا إلى المناطق المحيطة ببابل وذلك سنة ٧٠ ميلادية، والرأى الأخير مطابق لما ورد في إحدى مخطوطاتهم التي تذكر أن مجموعة من الناصورائيين لجأت إلى إديابين (جدياب) التي سموها حران كويتا، نتيجة لاضطهاد اليهود لهم في فلسطين، واستطاعوا أن يشيدوا هناك معابد (بيمندى) وكانوا يؤمنون بنداء الحياة وبقدرة ملك النور العلمية، بينما كان اليهود في جداياب يعبدون ربهم أدوناي إله بيت إسرائيل ثم انتقل هؤلاء الناصورائيين إلى جبال (ميداى) ومنها إلى طيب ماثا (مدينة الطيب) ومملكة ميشان في جنوب العراق.

من الوثائق المهمة التي تثبت بشكل لا يقبل الشكل وجود الناصورائيين (المندائيين) في العراق في القرن الثالث الميلادى هي وثيقة (تقش) "كاريتر" الحبر الاعظم للمجوس أيام الشاه شاهيور الأول التي سجل فيها اضطهاده لليهود والمسيحيين و الناصورائيين وغيرهم.

**▪ تعقيب:**

الصابئة المندائيون لا يذكرون النبي إبراهيم الخليل عندما يذكرون أنبيائهم آدم وشيتل وإدريس ونوح وسام بن نوح ويهيا يوهانا (يحيى بن زكريا) ويوحنا المعمدان، وعندما دعاهم نبي الله إبراهيم في أور إلى عبادة الله عبادة خالصة

وعدم جعل الملائكة وسطاء بينهم وبين الله. قالوا له أنت إنسان مثلنا تمرض وتتوجع وتشيخ وتموت... أنت ليس ملاكًا لتكون نبيًا مرسلاً... وهكذا اختلفوا معه... بعدها هاجر إلى حران وفلسطين ثم مصر.

ورد ذكر بهرام ربه أي إبراهيم الكبير في كتاب (الكنزا ربا)... ولكن ليس هناك ما يؤكد أن بهرام ربا هو إبراهيم التي تعني مختار الأمة أو كبير الأمة لكن بعض الباحثين يؤكدون أن إبراهيم الخليل أحد أنبياء الصابئة ومؤسس المذهب الحنفي الذي يلتقي مع الصابئة.

obeikan.com

**- ليث رياض الخميسي:**

## الصابئة المندائيون في التاريخ

الصابئة المندائيون أول الموحدين في عهد آدم وكانوا يسكنون شبه الجزيرة العربية ، وكتابهم الكنز العظيم ، ومن أنبيائهم إدريس الذي ذهب إلى مصر ، وعلمهم العلم والفن والفلسفة والنحت والرسم وكل الفنون.

وكلمة مندائي تعني المعرفة أو المخلص أو المعين أو الشفيع.

يقدسون نهر الفرات ، ويسمونهم الصابئة أو الصابغة الذين يصطبغون في الماء الجاري ، وهناك خلط بينهم وبين صابئة حران.

وهناك نصوص عظيمة في كتاب ( الكنزا ربا ) تمجِّد وتعظِّم الحي العظيم... وهناك الوصايا التي على كل مندائي الالتزام بها... وهناك التسبيح والتوحيد بالحي العظيم... وفي كتاب (الكنزا ربا ) نصوص رائعة تدل على أن الله ملك النور السامي.

وتبقى النفس أمانة عند الملاك أباثر وفي المطراثي تحاسب الروح حسابًا عسيرًا وقد تطول فترة الحساب أو تقصر فتحاسب عن كل خطاياها الثقيلة والخفيفة ولكل محطة حساب ، فإن ثقلت حسناتها وقلت سيئاتها ونالت رضا الحي العظيم تعود ثانية إلى الملاك أباثر وتتحد (لوفا) مع النفس وتشكل النشماثا وتصعد إلى (مشوني كشطا) عالم الأنوار الأول لتبحث عن الدموثا المثيل أو النظير الذي أخذت منه عند صيرورة الإنسان وتعيش في عالم الأنوار حياة ثانية لا يدنو فيها موت ولا أوجاع ولا هرم في السن ، حياة بيضاء ناصعة صادقة كاملة لا كذب ولا غش ولا نفاق فيها. أما إذا ثقلت سيئات الروح وخفت حسناتها فستموت موتًا ثانيًا وهذا أقسى ما يلاقيه الإنسان.

**- الأستاذ/ سرمد بشير عبد الواحد يوسف:**

## تزويج آدم ولديه لابنتيه

كان للشريف الرضي مجلسٌ يرتاده الأدباء والعلماء والشعراء... وكان من رواده البارزين أبو إسحاق الصابي الأديب المعروف وأبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف صاحب ديوان سقط الزند ورسالة الغفران. ويحكى أن الشريف الرضى كان يومًا يتباهى على أبي العلاء في حسبه ونسبه... فردَّ عليه أبي العلاء بقصيده جاء فيها بيتان ما معناهما.

**إذا مـــــا ذكرنـــــا آدم وفعالـــــهُ وتزويجـــه بنتيـــه لابنيـــه فـــي الخنـــا**
**علمنـــا أنَّ النَّـــاس مـــن نســـلٍ فـــاجرٍ وأنَّ جميع الخلـــق مـــن عنصـــر الزنـــا**

عندما ناجى آدم (عليه السلام) ربه راغبًا بزواج ولديه وبنتيه أرسل له الحي العظيم نظرائهم (الدموثا) نظراء الأولاد ليتزوجوا البنات ونظراء البنات ليتزوجوا الأولاد... وهكذا ازدادت ذرية آدم وابتهجت بهم الدنيا. وهذا يعني أن لكل إنسان دموثه... حتى آدم له دموثا يسمى آدم كسيه (آدم الخفي) عندما انتقل إلى جوا ربه عادت نشمة آدم الحي آدم إلى كسية لأنها أخذت منه.

وهكذا نستدل أن أبا العلاء لم يكن موفقًا في رأيه هذا وأن بنو البشر ذرية آدم عليه السلام طاهرة كما أراد لها الحي العظيم. ولو قرأ أبو العلاء كتاب (الكنزا ربا ) (الكنز العظيم) الكتاب المقدس للصابئة المندائيين بإمعان لما قال هذين البيتين وبهذا المعنى.

فالصابئة المندائيون يؤمنون بأن الحي العظيم (الله جل جلاله) خلق الإنسان من ثلاثة عناصر رئيسية:

١- الجسد: وهو فانٍ، جُبِل من تراب وإلى تراب يعود **(وخلقنا آدم من الدم والمرارة ومن الطين الأحمر (الصلصال) ومن أسرار الكون)** -كما ورد في (الكنزا ربا) - وهذا تجسيد يعتبر بمثابة السجن للنفس والروح.

٢- النفس: وهي قبس من الحي العظيم، طاهرة نقية لا تشوبها شائبة.

٣- الروح: هي الأعمال والممارسات، أي الفعاليات التي يقوم بها الإنسان من المهد إلى اللحد، أفعال خيرة وأخرى سيئة، تحاسب عليها في محطات الحساب (المطراني) حسابًا عسيرًا وتكون روح شتيل أبن آدم هي النموذج الذي تقاس عليه أرواح الناس لكونها طاهرة نقية لأن شتيل انتقل إلى ربه وعمره ثمانون عامًا ولم يرتكب أي معصية.

عندما تفارق النشماثا الجسد (النشماثا هي اتحاد النفس مع الروح) تبقى ثلاثة أيام بلياليها بين دار المتوفى وقبره وتحوم وتذكر كل حسناته وسيئاته... وبعدها تعرج باتجاه أباثر الملاك الأثري الكبير سادن باب ألما دنهورا (عالم الأنوار) الجنة، ويستدل عليه باتجاه النجم القطبي في الشمال العلوي القصي... وعند الملاك أباثر تنفصل النفس عن الروح لتذهب الروح إلى محطات الحساب.

**- د. بشير عبد الواحد يوسف:**

**محاضرة بعنوان:**

## التبشير في الديانة المندائية

سأناقش الموضوع من الجانب الديني والجانب الموضوعي الفعلي:

**١- الجانب الديني:**

نحن المندائيون نؤمن ووفق ما ورد في كتبنا الدينية أن ألما دنهورا (الجنة) عالم مندائي ، وأن هيي قدمايي خلق النشماثا والملائكة مندائيين ، وقام بخلق آدم وحواء مندائيين وطلب من الملاك المبجل مندا اد هيي أن يعلمهم الصلاة والتسبيح لخالقهم وأن يعلمهم الأسماء كلها والتوحيد والوصايا:

**( عَلِّمْ آدَمَ لِيَسْتَنِيرَ قَلْبُه ، وَقَوِّمْهُ لِيَسْتَنِيرَ عَقْلُهُ وَجَنَانُه ، كُنْ أَنَساً لَهُ أَنْتَ وَالْمَلاَكَانِ اللَّذَانِ مَعَكَ إِلَى الْعَالَمِ سَيهْبِطَانِ ، عَلِّمْهُ وَزَوْجَهُ وَذُرِّيَّتَهُ الْحِكْمَةَ كَيْلاَ يُغْوِيهِمْ الشَّيْطَان ، عَلِّمْهُمْ الصَّلاَةَ يُقِيمُونَهَا مُسَبِّحِينَ لِمَلِكِ النُّورِ السَّامِي ) . "كنزا ربا يمينا"**

وعندما أراد آدم أن يزوج أولاده وبناته ، أخذوا الأولاد إلى آلما دنهورا (مشوني كشطا) وزوجهم دموثا (النظير) البنات وجئ بدموصا الأولاد من آلما دنهورا وزوجوهم بنات آدم... وهكذا ازدادت ذرية آدم في البداية وتكاثرت لا كما يقول الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري:

**إذا مـــــا ذكرنـــــا آدم وفعالـــــهُ وتزويجـــه بنتيـــه لابنيـــه فـــي الخنـــا**

**علمنـــا أنَّ النَّـــاس مـــن نســـلٍ فـــاجرٍ وأنَّ جميع الخلـــق مـــن عنصـــر الزنـــا**

ثانيًا: كلما أصابت المندائيين عبر التاريخ مصيبة أو كارثة يرسل هيي قدمايي لهم رسول ليعيد الدارة فأرسل بعد آدم شيتل ثم نوح وابنه سام ثم إدريس (دنانوخت)... وخاتمهم يهيا يهانا مباركة أسماؤهم جميعًا.

ثالثًا: الأنبياء المندائيون الذين بعثوا وجدوا أمة موحدة مندائية تدين بالدين المندائي، وحتى النبي يهيا يهانا -مبارك اسمه- الذي عاش في فلسطين والذي كان يصبغ (يعمِّد) المندائيين في نهر الأردن كان يصبغ المندائيين حصرًا لأنه يعرفهم وهم يعرفونه لأنه عاش وسطهم وتربى بينهم رغم كثرة الأقوام التي كانت تعيش على ضفاف نهر الأردن وحوض البحر الميت مثل الأسنيين ، واليبوسيين ، الكنعانيين ( الفلسطينيين ) ، السامريين ، الحسح الصدوقيين ، الصيدناويين، وغيرهم من الأقوام حتى أنه صبغ "عمد" السيد المسيح لكونه ابن خالته وكان يعيش معه في نفس البيت ونهل من تعاليمه وحكمته وإيمانه وكان أكبر منه بثلاث عقود ، ولم يعلن عيسى بن مريم نبوءته إلا بعد وفاة يهانا -مبارك اسمه- بثلاث سنين، وقد خفف السيد المسيح والآباء الأوائل كثيرًا من غلواء وتعقيدات الدين المندائي واليهودي في الصلاة والصباغة "التعميد" وكل المراسيم الدينية وجعلوها ذات هيبة وأبهة وفخامة على بساطتها فانضم لدينه أعداد غفير من الناس لبساطة الدين وسهولة التطبيق.

رابعًا: الخالق يرسل الأنبياء بشيرًا ونذيرًا يبشرون الناس بالجنة وبالحياة الأبدية التي لا وجع ولا أمراض ولا موت ثان فيها ، ونذيرًا ينذرهم أن من يخالف تعاليم الله أو من يرتكب معصية في حياته يحاسب في المطراثي "محطات الحساب" ويكون مصيره النار الحامية إن لم يتوب ويرجع إلى خالقه ، وكل الأنبياء الموحدين بعثوا لوحدهم فبشروا بأديانهم لتكون لهم أمة مثل موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ما عدا آدم والأنبياء المندائيين -مباركة أسماؤهم- والذين جاءوا بعده لأنهم وجدوا أمة مندائية تدين بالدين المندائي فلم يكونوا بحاجة للتبشير.

خامسًا: يحسب على الأمة المندائية أنها لم تؤسس دولة أو دويلة أو سلطنة أو إمارة، ولم يكن لها عبر التاريخ ملك أو سلطان أو قائد مشهور أو أمير ، بل كانت دائمًا تلوذ بظل دين آخر أسس دولة قوية ، ومن غرائب الأمور أنهم لا

يستطيعون الدفاع عن أنفسهم لتمسكهم بالناصوراثا **(سلِّحوا نفوسكم بسلاحٍ أمضى من الحديد ، سلاح الناصوراثا) ، (فإن اضطهدتم فاحتملوا الاضطهاد إلى أن تقضوا آجالكم ، بعضهم لبعض مساندين) "كنزا ربا اليمين ، الوصايا".**

وهكذا ضعفوا على مرِّ الزمان أو قلَّت أعدادهم بسبب الخوف والاحتماء بالأديان الأخرى القوية وهروبهم إلى أعماق الأهوار حيث الحياة البدائية والأمراض الفتاكة وانعدام التعليم.

ومع هذا كله فالمندائيون نسيج متماسك نقي ورحمهم طاهر ودينهم مغلق يرفضون التبشير بكل أشكاله وهذا ما أتفق عليه كل رجال الدين.

**٢- الجانب الموضوعي الفعلي:**

أولاً: تشتت المندائيون على أرض الله الواسعة بسبب الحروب طلبًا للأمان وتركوا بلادهم التي عاشوا فيها منذ فجر التاريخ مكرهين وأضطر عدد من أولادهم وبناتهم للزواج من الأديان الأخرى ولأسباب مختلفة ولو كان الآن عدد الخارجين عن الدين المندائي ألفًا فبعد عقد من السنين كم سيصبح، وبعد جيلين أو ثلاثة كم سيكون العدد؟ إنها متوالية عددية لا تقف عند حدود. إذن لا بد من دراسة الموضوع ووضع الحلول المناسبة ووضع هذه الأمة تحت التحكم والسيطرة قدر الإمكان وبالإقناع وبالحوار المتمدن وزيادة الإيمان وإيجاد سُبل ووسائل حديثة نطوِّر بها الأداء، إذ لا يعقل أن ٩٩% من المندائيين لا يصلون لصعوبة إجراء الصلاة ، ولا يعقل أن رجال الدين لم يتعلموا أكاديميًا وهم يمنحون لأنفسهم رُتبًا دينية دون دراسة أو شهادة أكاديمية كما هو الحال عند المسلمين في كليات الفقه أو عند المسيحيين في كليات اللاهوت، علمًا أن كثيرًا من جامعات العالم المعروفة أصبح فيها كليات وأقسام لدراسة الأديان المقارنة وهناك أقسام لدراسة الدين المندائي تمنح شهادات عليا في كليات رصينة ضمن جامعات محترمة مثل السوربون في فرنسا وكامبرج في إنكلترا وليبزك في

ألمانيا ولاهاي في هولندا وكوبنهاكن في الدنمارك وبروكسل في بلجيكا... وهكذا.

ومن الضروري جدًا أن نسارع في تأسيس كلية الدراسات المندائية هنا في السويد حيث الكثافة المندائية وتكون لها فروع في أماكن أخرى تمنح شهادات عُليا لرجال الدين الراغبين والمدنيين المهتمين ، وبذلك نكون قد هيأنا كوادر أكاديمية تستطيع إلقاء محاضرات للشباب وحضور مؤتمرات عالمية لكي نحافظ على الشبيبة من الضياع.

ثانيًا: لندرس الإشكالات والحالات التي ستواجهنا وطرق الحل:

أ. امرأة مندائية تزوجت من دين آخر ولم تنجب ، وتريد العودة.
ب. رجل مندائي تزوج من دين آخر ولم يختن ، ويريد العودة
ج. طفل رضيع تبنته عائلة مندائية ولا يعرفون حسبه ونسبه.
د. امرأة تزوجت من دين آخر وأنجبت ، وتريد العودة.
ه. رجل تزوج من دين آخر وختن ، ويريد العودة.
و. رجل ختن قسرًا أو بدون علمه أو بسبب مرض.
ز. الأولاد والبنات من أم أو أب مندائي وأم أو أب من دين آخر ، ويرغبون في العودة لوحدهم أو مع أهلهم.

هذه الاحتمالات وغيرها. يجب أن تجري دراسة مستفيضة بعقلية متفتحة ووضع العلاج اللازم ووضع حدود لكل ذلك ووضع ضوابط ، وإن كان ممكن عودة بعض الاحتمالات مثلاً أ ، ب ، ج ، و ، فيجب في هذه الحالة على رجال الدين معالجة الحالة بعقوبة مثله مثل من ارتكب إثم ويجب أن يحاسب عليه فتوجب عليه ستون صباغة أو أكثر بمناسبة دينية مهمة ، ولا يصلح أن يكون شكندا ولا يجوز له أو لذريته الترشيح لموقع ديني مستقبلاً وهكذا ليكفر عن ذنوبه ، وهذا مجرد مقترح لا أكثر لأن مثل هكذا أمور تعالج من قبل المجلس الروحاني العالمي وبمساعدة شخصيات مندائية قيادية في الطائفة.

يجب أن نبدأ العمل قبل أن تتعقد المشكلة وعلينا أن لا نخاف من المواجهة (اللي يخاف من الطنطل يطلعله)[1] ، وعلينا أن لا ندفن رؤوسنا في الرمال عندما تهب العاصفة كالنعام.

ولحل مثل هكذا أمور يتطلب الحوار والتفاهم والإقناع لا التشدد والتسلط والديكتاتورية. ومثلما نتحمل نحن جميعًا مسؤولية هذا العمل وحل هذه المشكلة الكبيرة يتحمل الاتحاد وكل التشكيلات المندائية وكل رجال الدين وفي مقدمتهم رئيس الطائفة هذه المسؤولية المهمة والخطيرة.



obeikan.com

١ مثل عراقي

**- د. بشير عبد الواحد يوسف:**

## الإنسان بين العوز والنقصان

**محاضرة ألقيت في مقر الجمعية المندائية في ستوكهولم السبت المصادف ٢٠١٥/٠٨/١٢**

عبر التاريخ الإنسانى ، دونت الكثير من الملامح التاريخية ، وما زالت شعوب هذه الملاحم تعتز وتتباهى بها ، وتتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل ، ومن أشهر هذه الملاحم:

- ملحمة كلكامش / السومرية. - ملحمة الشاه نامه / الفارسية.
- ملحمة الإلياذة / الرومانية. - ملحمة الأوديسة / لهوميروس
- المهابهارتا / الهندية. - ملحمة الهاتيكي / اليابانية.
- ملحمة عنترة بن شداد. - الكوميديا الإلهية / لدانتي.
- تغريبة بني هلال. - ملحمة كاليفالا / الفنلندية.

هناك فرق بين الملحمة والأسطورة ، لأن الأسطورة أبطالها من الآلهة ، أما الملحمة ، فأبطالها من البشر.

وهناك ملاحم شعبية ، وملاحم أدبية لكثير من الشعوب يصعب حصرها. معظم الملاحم القديمة للأديان غير الموحدة فيها تتعدد للآلهة.

وهناك ميثولوجيا في الأديان الموحِّدة ، تذكر كخوارق ومعجزات لدى الروحانيين ، وتسمى أساطير أو ميثولوجيا من قبل الماديين. ومثال ذلك:

- في الدين اليهودي: عصا موسى ، عبور بحر سوف ، المنّ والسلوى

- في الدين المسيحي: ولادة عيسى ، إحياء الموتى ، شفاء الأعمى والأبرص والكسيح.

– في الدين الإسلامي: الإسراء والمعراج، وناقة صالح، وخروف إسماعيل، وحوت أيوب، وسليمان بن داود.

– في الدين المندائي: ولادة النبي يحيى، بوثة الخلق والتكوين، بوثة المخلص، بوثة عالم الظلام.

الذي يهمنا في هذا البحث هو الميثولوجيا المندائية... لملحمة روحانية للسيطرة على هذا العالم (ألمه دهشوخه) وكيف تمت السيطرة عليه، وتخليصه من مردة الظلام، ولماذا أصاب الإنسان العوز والنقصان.

(لماذا يمرض ويتوجع ويشيخ فيموت)

بسم الحي العظيم

**( إِنَّا جَعَلْنَا الْكَوْنَ مَنازِلَ وَطَبَقَات ، مُكتَملاَت وَغَيَّرَ مُكتَملاَت ، وَأَوكَّلْنَا بِكُلِّ طَبَقَة حُرَّاساً ، مَلاَئكةً أَجْنَاسًا ، فَأَمَّا أَرْضُ النُّور ، فَقَدْ ثَبَّتْنَا فِيهَا الْأَثرِيِّينَ ، وَمَلاَئكةَ النُّور ، وَزَيَّنَّا هَا بِمَصَابِيحَ تَدُور ، وَوَهَبْناهَا رِيَاحًا سَارِيَة وَمِيَاهًا جَارِيَة ، وَعَطَّرْنَاهَا بِالْأَرِيج ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَهِيج. وَأَمَّا عَالَمُ الظَّلاَم ، عَالَمُ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ .. فَأَرْضٌ مُقْفِرَةٌ مَسْعُورَة ، دُفِعَتْ إِلَى أَقصى الْجَنُوبِ ، بَعِيدًا عَنْ الْمَعْمُورَةُ ، عَوالِمُ مِنْ دُخَانٍ وَنَار ، وَنَقْصٍ وَشَنار ، تَعجٌّ عَجِيجًا بِالْأَشْرَارِ ، وَبِالْقَتَلَة وَالْفُجَّارِ ، وَالسَّحَرَة وَالْمُشَعْوذِينَ وَالْكُفَّار ، أَرْوَاحٌ زَاهِقَة ، وَنِيرَانٌ حَارِقَة ، وَعَوَاصِفُ خَانِقَة ، تَسُوقُهَا شَيَاطِين حَانِقَة ، وَسُفَهَاء ، وَمَصَّاصُو دِمَاء ، بِوُجُوه مُظْلِمَة سَوْدَاء ، صُمٌّ بَلْهَاء ، يَنْهَضُ بَيْنَهُمْ الْمُشَعوِذُون ، وَالْمُزَيِّفُونَ وَالْكَذَّابُونَ ، وَالسَّرَّاقُ وَالْغَاصِبُونَ ، وَالْقَتَلَة الْمُجْرِمُونَ ، أَنْوَالًا أَنْوَالا ، قِصَارًا وَطِوَالَا ، وَخَلاَئِقَ أَشْكَالَا ، مِنْهُمْ يَطِيرُونَ ، وَمِنْهُمْ يَسِيرُونَ ، وَمِنْهُمْ عَلَىٰ بُطُونِهِمْ يَزْحَفُون) والحي المزكى (كنزا ربا).**

وتستمر هذه الميثولوجيا لتقول : إن هذه الدار يحكمها عفريت جبار، يخور ويدور... فوقف عند حدود الديجور، ونظر إلى أكوان النور، وأراد أن يخترق الحد الفاصل بين النور والظلام... جأر هذا المارد الجبار، فاهتزت أركان

الكون ، وجفل الملائكة الأثريون ، الذين كانوا يطيرون ، قريبًا من الحد الفاصل بين النور والظلام. جاءهم الصوت أن لا تخافوا ، فلا يقدر هذا المسخ اللعين أن يعبر الحدَّ الفاصل... وأمرهم أن يعودوا إلى دورهم آمنين ، كان هذا بدء الشغب في العالمين (كان هذا بدء القلق في العالمين) ، فجاء عظيم الأثريين الملاك منداهيي ، إلى الحد الفاصل ، فسبر أغوار الكون ، ورأى عجبًا في عالم الظلام... واستغرب من خلق هذا المسوخ ، ومن خلق عالم الظلام... فجاء الصوت من عالم النور... الله أدرى وأعلم ، لا يستطيع الظلام التقرب من النور... وعندما يتقدم النور ، يتراجع الظلام وينحسر ، ثم يبدد... والشر لا يقوى على الخير ، والشياطين لا تواجه الملائكة. خلق الظلام لتحسوا بالنور... وخلق الشر لتحسوا بالخير ، وخلق الشياطين لتحسوا بالملائكة.

هنا أمر الله ، الملاك منداهيي ، أن يسيطر على عالم الظلام ، ويقضي على المردة والآثام... وأن يجعل منه عالمًا نورانيًا ، تسكنه الملائكة الأثريون ، فنادى ابنه هيبل زيوا ، وصبغه ٣٦٠ صباغة في اليردنا ، وألبسه ٣٦٠ رداءً من النور ، وأعطاه أسرار خفيه ، وأسماء سريه.

ينزل الملاك هيبل زيوا ، ويجتاز الحد الفاصل ، وبرفقته عدد من الملائكة ، وينتقلون من عالم الظلام إلى عالم آخر ، يسيطرون عليها ، واحد تلو الآخر.

**(عوالم الظلام)**

- عاللم زرتاي وزرتناي.
- عالم هاغ وماغ.
- عالم كاف وكافان.
- عالم أناثان وقن.
- عالم شدوم الهائل ، وعالم كيوا ، وعالم سماق.
- عالم كرون جبل اللحم.

تمت السيطرة على عوالم الظلام ، وانتهى الشغب ، وتبدد القلق ، وعاد هيبل زيوا ومرافقيه إلى عالم النور ، منتصرين ، وبشَّر هيبل زيوا ، أباه منداد هيي ، ومعه أخوته... شيتل ، وأنوش.

أمرني أبي ، منداديهي ، بعد أن صبغني ، ومنحني مزيدًا من الضياء والنور ، وبرفقة شيتل وأنوش ، و يوفين ، والملائكة المرافقين ، أن ننزل ثانية ، لنقضي على الروهة ، وابنها أور. فأنت يا هيبل زيوا ، نور ، وهم ظلام ، تقدم عليه فينحسر ، ثم يتبدد.

هكذا تمت السيطرة والقضاء على الروهة ، وابنها أور ، وعاد هيبل زيوا ، ومرافقوه إلى عالم الأنوار ثانية ، ليبشروا بالنصر العظيم.

هنا أولاد السلام ، أبناء الملاك يوشامن ، طلبوا من أبيهم أن يجهزوا عالمًا يسبحون به... هيي ، وأبيهم يوشامن... فوافق على أن لا يعملوا عملاً باطلاً.

نظر الملاك أباثر ، سادن باب عالم الأنوار إلى العالم الأرضي ، فوجده مغطى بالماء الأسود الآسن (ميه سيانه) ، حدَّق فيه ، فنادى له ابنًا ، سماه بثاهيل ، فجاء ناقص ضوء ونور... نصفه نوراني ، لأن أباه الملاك أباثر... ونصفه مادي ، لأنه نودي عليه من المياه الآسنة ، وليس من المياه الحية (اليردنا).

- **السبعة والاثنا عشر**

**- السبعة:**

١- شامش: أسماء الكواكب السبعة / المجموعة الشمسية
٢- سين: الشمس ، القمر ، الأرض ، عطارد ، الزهرة.
٣- كيوان: المريخ ، زحل.
٤- بيل
٥- ليبات
٦- إنبو

٧- الملاويش (الأسماء الدينية)

أما الاثنا عشر فهي الأبراج

قال ملك النور السامي قوله... فكان كل شئ... فنزل بثاهيل:
رفع السماء... وبسط الأرض... ونادى ملائكة النار... وهبت الشمس ضياء، ووهب القمر بهاء، والنجوم سناء... ورفعت كل إلى مدار، وتكونت العواصف والماء والنار، وتكونت الثمار والأعناب والأشجار

وكون الحيوان الأليف، والوحش الكاسر، من التراب والطين الأحمر، والدم والمرارة... ومن سر الكون... جبل آدم وحواء، وحلت فيها نشماثة، بقدرة ملك النور السامي.

صنع بثاهيل آدم، ولكن لا حياة فيه... حاول بثاهيل الاستعانة بالأثير... بضياء ودخان ونار... ببخار الأنهار، ولكن دون فائدة... وصعد، بثاهيل، مستنجدًا بأبيه، أباثر، وأستنجد، أباثر، بالملاك المبجل، منداهيي. بأمر من الحي العظيم، أعطيت نشماثة، فلفَّها بثاهيل بعمامته، ونزل ومعه حراس النشماثة، والملائكة... هيبل، وشيتل، وأنش... ونزل، منداهيي، الذي أخذ النشماثة من، بثاهيل، وأولوجها في جسد آدم المسجى، فتنفس آدم، وخفقت جناحيه، وقام منتصبًا على قدميه:

ولأن آدم جبل من الطين (مادي) وأولجت في جسده النشماثة (النفس) قبس من هيي، طاهرة، نقية روحانية... ولأن بثاهيل الذي صنع جسد آدم ناقص ضوء ونور، لكون أباثر ناداه من المياه الأسنة الراكدة. قال، الحي، وهو مستو على عرشه، بين أنواره، ليكن الموت من نصيب أهل الدنيا، والسقم والأوجاع والشيخوخة... فنفذ الصوت نحن نسميه الحق وأنتم تسمونه الموت.

وعندما اعترض آدم على الشيخوخة، والمرض، والموت... نزل ملاك الموت "صورييل" وقال لآدم: كنتَ أخرسًا فأنطقناك، وأصمًّا فأسمعناك، وجاهلاً

فعلمناك، ومستوحشًا فآنسناك... لتخرج النشماثة من هذا الجسد (الحبس) وتعود إلى المثيل أدكاس زيوا (آدم الخفي)، فعمرك في هذه الدنيا انتهى.

كان شتيل أبن آدم حين فدى أبوه، وصعد إلى عالم الأنوار، يتمنى أن يراه أبوه... وعندما رفعت الغشاوة من عيني آدم، والسدادة عن أذنيه، وكتلة اللحم عن قلبه، وأبصر ابنه شيتل في عالم الأنوار، تمنى لنفسه ذلك ليحيا حياة ثانية، بلا مرض وأوجاع، وبلا شيخوخة وموت ثاني.

وتبقى المشكلة...

أن الإنسان يرى ويلمس كل شيء مادي، ولكنه لا يرى كل شيء روحي.

ولهذا الإنسان منذ القدم أوجد واسطة يراها ويلمسها، بينه وبين خالقه... ففي الجاهلية وقبلها أوجدوا الأصنام... لا ليعبدوها، وإنما يتشفعوا بها زلفى إلى الله.

وحاليًا المسلمون أوجدوا المراقد للأئمة، يتشفعون بها ويدعون لها، والمسيحيون يتشفعون بالصلبان والسيد المسيح والعذراء مريم، واليهود يتشفعون بحائط المبكى، وهكذا...

ونحن المندائيون قد نكون أوفر حظًا بالملائكة الأثريين، لأننا ندرك الحي العظيم بالعقل والمعرفة، والإحساس، ومواجد القلب.

- **الأستاذ / مؤيد مكلف سوادي**

**السيرة الذاتية:**

كان مسقط الرأس في مدينة (المشرح) ميسان عام ١٩٣٢ ، وهي مدينة حدودية مع إيران ، يعمل سكانها بالزراعة والصيد والرعى ، لخصوبة الأرض ووفرة المياه ، ولهذا السبب نشط الإقطاع وحاصرت السكان التقاليد القبلية البالية ، وغلب على سكانها طابع التفرقة الدينية المقيتة والحقد على الأقليات ، بسبب الجهل والتعصب والتخلف... ورغم العدد الكثيف المندائي إلا أنهم عاشوا منعزلين ومهمشين...

مرَّت طفولتنا وسط ظروف بائسة ، فالفقر شائع والجهل متفشى والتخلف مستفحل ، إذ كانت البيوت من قصب أو من طين ، تخلو من أية وسيلة ضرورية للحياة... وكانت الأوبئة تحصد الأجساد العفنة ، والنساء كالحات الوجوه ملفعات بالسواد ، مثقلات بالأوجاع... ولادات متتالية تضيق بها البيوت. وبسبب الجهل ، كُنَّ يلجأن للمواد المخدرة (الأفيون) أو (النوام) المهرب من إيران لتخدير الرضع ، للتفرغ للأعمال المنزلية المجهدة... ونجونا بأعجوبة من الموت المبكر وأمراض الطفولة ، والتحقنا بالمدرسة الابتدائية الوحيدة... ولاح شبح بؤس جديد ، تمثل بتخلف المناهج المدرسية ، وتصرفات بشعة من أقراننا التلاميذ المسلمين المشبعين بالأفكار العدوانية المتطرفة ، إضافة لقسوة بعض المعلمين غير المؤهلين للتدريس ، وقسوة هؤلاء التلاميذ جاءت بسبب التربية السيئة لأولادهم ، فبدل أن ينشئوهم على مبدأ المشاركة في الوطن ، والمفاهيم الوطنية الصادقة ، خلقوا فيهم روح الغطرسة ، وأوحوا إليهم بأنهم الأسمى بين البشر ، وأوهموهم بالتفوق العنصري ، والسمو الفكري ، ولهذا نشأوا عدوانيين متشبعين بأفكار متخلفة ، ينكرون حقوق الأقليات والضعفاء ولا يعترفون إلا بأنظمة عشائرية قبلية متخلفة ، وأفكار متحجرة.

ورغم الفقر والحرمان والجوع والضغوط ، تفوقنا ، وأكملنا الابتدائية... وقد تزامنت أعوام دراستنا الابتدائية مع اندلاع أوزار الحرب العالمية الثانية ، فطرقت أسماعنا لأول مرة مفردات لم نكن قد سمعناها من قبل ، مثل: حرية ، تحرر ، تنظيم ، استقلال ، تجمع ، حقوق ، أحزاب ، احتجاج ، إضراب ، مظاهرة ، مسيرة ، انتفاضة ، ثورة... وكنا نجهل معانيها... ثم حان وقت التحاقنا بالمتوسطة في مدينة العمارة ، ومعنى هذا التغرب والابتعاد عن أهلنا ومنازلنا. ورغم الجوع والآلام والحرمان ، اكملنا المتوسطة والإعدادية ، وتطلعنا للالتحاق بالدراسة الأكاديمية... وهنا اعترضتنا قوانين رجعية مقيتة مجحفة سنَّها أصحاب النفوذ والمتسلطون على رقاب الشعب ، وهي ألا يُسمح للأقليات بالقبول في الكليات إلا لطالب واحد في كل فرع سنويًا ، وتلك أقصى أنانية عبَّروا بها عن حقدهم ضد الأقليات ، إضافة إلى حصرهم وظائف الدولة لأنفسهم ، وعدم سماحهم للآخرين إلا بوظيفة معلم أو موظف صحي شريطة موافقة الأمن ، ومعنى هذا قتل أي طموح في نفوسنا... ثم سمعنا بافتتاح دورة تربوية في البصرة ، لحاجة البلد إلى معلمين... وقدمنا وثائقنا ، كنا ثمانية طلاب صابئة من مجموعة ثمانين طالبًا ، وتمَّ قبول ثلاثة منا فقط هم السادة جميل شيخ عبد محيي وشاكر غريب داخل وفرحان حالوب ، وطردوا خمسة منا هم خالد عودة وسبع درباش وناصر مجيد ومسير مهدي ومؤيد مكلف... وتجاه هذا الظلم ، واجهنا مدير معارف البصرة آنذاك (توفيق العينه جى) فطردنا شر طردة قائلاً "أنتم صبة ولديكم مهنة الصياغة ولسنا بحاجة اليكم ، اذهبوا وراجعوا دوائر الأمن"... وهكذا خابت آمالنا ، وضاعت سنة من أعمارنا. وفي السنة التالية تم قبولنا ، فأصبحنا مؤهلين للتعليم الابتدائى... وحاولت التعيين على ملاك مدينة البصرة ، بعد موافقة مدير المعارف فيها ، الوجه التقدمي المرحوم (جواد الجصانى) إلا أن مدير معارف العمارة (عبد الرسول نجم) أبى إلا تعييني في أقصى أهوار العمارة لا لسبب إلا لأنني صابئي ، ويجب أن أخضع لمراقبة الأمن. وبقيت سنيناً طويلة هناك حتى قيام ثورة ١٤ تموز

الخالدة، وتحرر الشعب من حكم الرجعية، فنقلت إلى البصرة ثم إلى بغداد، حيث سنحت الفرصة لإكمال الدراسة المسائية في الجامعة المستنصرية – أدب اللغة الإنجليزية – فأصبحت مؤهلاً للتدريس في المتوسطات... ثم حاولت إكمال دراسة القانون فرفضوا قبولي... كان المندائيون قد تجمعوا آنذاك في بغداد بقدر ازدهار حرفة الصياغة وأصبح لزامًا عليهم تنظيم أنفسهم لتحقيق بعض المكاسب الضرورية للطائفة... وتبنى المرحومان الشيخ داخل الشيخ عيدان والشيخ عبد الله الشيخ سام، مسألة إنشاء (مجلس التولية) لتنظيم شؤون الطائفة، وتولت مجموعة خيرة من الصاغة والمثقفين، على رأسهم المرحوم غضبان رومي، تنفيذ ذلك، فتملكت الطائفة مندي الدورة ومقبرة أبي غريب... ثم سعوا وبمؤازرة المتطوعين إلى توسيع مجلس التولية واستبداله (بالمجلس الروحاني). ثم التفتوا إلى أخطر نقطة في حياة الطائفة ألا وهي الاهتمام بالثقافة الدينية والثقافة العامة والتاريخ، وقد رفع لواءها رجلان ضحيا بكل ما يمتلكان من أجل تحقيق ذلك، هما المرحومان نعيم بدوي وغضبان رومي، فنشرا نصوصًا دينية مترجمة للعربية من كتبنا المقدسة، ثم قاما بترجمة كتب ألفتها المستشرقة (دراور) فأسديا بذلك خدمة لا تقدر بثمن لأبناء الطائفة واستقطبا بعملهما الرائع هذا تحريك جمهرة المثقفين المندائيين الذين شجعوا طراسة شباب مندائيين، لشد أزر القيادة الدينية... ثم جاء دور حث مئات الشباب المندائيين المثقفين للانخراط في أنشطة المندي والنادي، فاندفعنا مع إخواننا الآخرين لإظهار الوجه الناصع للطائفة بإصدار مطبوعات تعبر عن أمورها الدينية والاجتماعية، وعمل كلٌّ من موقعه، برفد الطائفة بما استطاع من عطاء، فأصدرنا مطبوعين أحدهما (آفاق مندائية) والأخرى (هينموثا) فسدتا فراغًا، وأيقظتا روح الإبداع... كما أصدرت كراسًا يحوي أناشيد وتراتيل مندائية دينية هدية للمدرسة المندائية، تم تلحينها وإنشادها من قبل طلبة المدرسة... ثم أصدرت كراسين يحويان حياة وشعر شاعرين شعبيين مندائيين هما: (سنيجر بن عامر وفدعم بن عبادة) أهدف منها إلى حفظ وإحياء الأدب والشعر

الشعبى... وفي النية إصدار كراريس أخرى لشعراء آخرين... ثم أصدرت مع المهندس لؤي زهرون حبيب كتاب (أنساب العائلة الخمسية). كذلك قمت بتأليف كتاب تاريخي للطائفة بعنوان (أضواء على تاريخ الصابئة المندائيين) وها هو مركون على الرف ينتظر من يهتم به ويطبعه... كما هيأت قصة شعرية طويلة هادفة للأطفال بعنوان (تضحية من أجل حرية وطن مغتصب) وما زالت تنتظر من يطبعها... وما زالت متواصلاً مع (الجمعية العربية) في نيوزيلندا وتزويدهم بمقالات تنشر في مجلة (الجالية) ، كما شاركت مرارًا بإلقاء محاضرات وندوات في نادي التعارف في بغداد ، وفي المندي ، كذلك في قاعة الجمعية المندائية في نيوزيلندا ، ولم أزل أبذل الجهد وأواصل إرسال المقالات الهادفة للنشر في موقع اتحاد الجمعيات المندائية من أجل إفادة أبناء الطائفة.

- **تعقيب:**

الأستاذ مؤيد نسيَّ ذكر ترجمة الكتاب المقدس (الكنزا ربا) وتعاليم النبي يحيى ، واهتم بذكر مآثره ولم يذكر جهود الآخرين الذين أسَّسوا مجلة آفاق مندائية وترجموا أهم كتابين مندائيين: الكنزا ربا ، وتعاليم يهيا يوهانا.